استشرافات نظرية اللسانيات النسبية في ميدان تعليم اللغة العربية

Foresights of the theory of relative linguistics in the field of teaching Arabic

رينـاد مواس*
جامعة ابو القاسم سعد الله الجزائر2 (الجزائر)
rinedmouass@gmail.com

أمين قـادري
جامعة ابو القاسم سعد الله الجزائر 2 (الجزائر)
Amine-alahmady@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/30	تاريخ القبول: 2022/06/04

الملخص:

يحتاج بناء النظريات وقيامها إلى الإحاطة بثلاثة جوانب أساسية هي جانب الاسس المعرفية، وجانب المفاهيم النظرية ، وجانب الإجراءات العملية، وترتبط هذه الجوانب بتحقيق كفايات ثلاث تندرج ضمن أهم المطامح التي تسعى النظريات اللسانية على اختلافها للوصول إليها، وهي الكفاية المعرفية، والكفاية النظرية، والكفاية الإجرائية.ومن النظريات التي سارت على هذا المسعى نظرية اللسانيات النسبية التي اهتمت بالكفايات الثلاث، وأولت عناية أوفر للكفاية الإجرائية، التي جعلتها معيارا القياس مدى سلامة النظرية ونجاحها، فكان تحقيق هذه الكفاية الإجرائية مطمحا لابد منه لاستثمار نظرية اللسانيات النسبيّة في ميادين شتى نذكر منها: ميدان تعليم اللغة العربية.
وعليه نسعى من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن القيمة المعرفية لنظرية اللسانيات النسبية في ميدان تعليم اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات النسبية، الكفاية الإجرائية، الكفاية المعرفية، تعليم اللغة العربية

Abstract :

The construction and elaboration of theories needs to be aware of the three fundamental aspects namely the aspect of the cognitive foundations, the aspect of theoretical concepts, and that of pratical procedures. These aspects are linked to one another through the achievement of three skills which are among the objects which the different linguistic theories have worked to concretize them, in particular cognitive competence, theorecal and procedural. Among the theories that have taken this approach is the theory of relative linguistics, who is interested in said skills giving particular attention to procedural skills, however it has become a measure of the validity and success of the theory, realization of this procedural skill has become a primary objective in order to invest the theory of relative linguistic in various domains in particular that of Arabic language didactics.
Consequently, we seek through this study to reveal the value cognitive theory of relative linguistics in the field of Arabic language didactics.

Key words :Relative linguistics, procedural competence, cognitive competence, didactics of the Arabic language.

*المؤلف المرسل: رينـاد مواس

مقدمة:

أدى اختلاف اللغات البشرية وتنوعها، إلى اختلاف الدراسات التي حاولت الكشف عن ماهيتها، ومنشئها، وخصائصها، وبنيتها، وذلك لاختلاف زوايا النظر فيها. واختلاف المناهج التي استعملها أصحابها لمقاربتها، فمن هذه الدراسات ما حاول أصحابها إبراز الخصائص المشتركة بين جميع اللغات البشرية، بغية الخروج بقوانين كلية تستجيب لها كل اللغات، ومنها ما اهتم بلغة واحدة للكشف عن مميزاتها وخصائصها، وهناك دراسات أخرى قال أصحابها بنمطية اللغات فيجب تصنيفها ودراستها حسب هذه الأنماط، وهذا ما أفرز ظهور ثلاثة اتجاهات في البحث اللساني العربي هي: اتجاه كلي، و اتجاه خاص، واتجاه نسبي. ويمثّل للاتجاه الأخير في اللسانيات العربية الباحث اللساني المغربي محمد الأوراغي من خلال نظريته الموسومة بنظرية اللسانيات النسبية، التي حاول من خلالها إثراء اللسانيات العربية واقتراح منهجية جديدة في دراسة اللغة، لا سيما اللغة العربية سعيا منه للمحافظة عليها باعتبارها لغة القران الكريم الحافظة لثقافة الشعوب وهوياتهم، عليه تأتي هذه الدراسة للإجابة عن إشكالية رئيسية مفادها:

ما هي استشرافات نظرية اللسانيات النسبية في ميدان تعليم اللغة العربية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية نسير وفق خطة تنطلق بدءا من تقديم رؤية تمهيدية لنظرية اللسانيات النسبية، لتتبع بعد ذلك بالإشارة إلى الميادين التي يمكن ان تطبق فيها هذه النظرية، للوصول في الأخير إلى تقصي استشرافاتها في ميدان تعليم اللغة العربية. ومع الجهود الكبيرة التي بذلها الأوراغي في إيضاح معالم نظريته على المستوى النظري تجدر الإشارة هنا إلى أن قضية الاستشراف التي نسعى إلى تقصيها مبثوثة في أعماله لذا سيكون مقالنا هذا محاولة لتجميع ما قاله الأوراغي فيها واعطاء قراءة له.

1-نظرية اللسانيات النسبية_رؤية تمهيدية_:

أسس محمد الأوراغي نظرية اللسانيات النسبية إثر أعمالة النقدية النظرية اللسانيات الكلية، التي انتشرت في العالم لمدة طويلة من الزمن، وبعد أن لاحظ وجود عجز فيها حاول أن يبني نظرية لسانية جديدة لتجاوز أزمة الفكر اللغوي. وعليه قام محمّد الأوراغي بوضع نظرية لسانية تختلف في أسسها وتصوراتها ومنهجيتها التحليلية للظواهر اللغوية المختلفة عن نظرية اللسانيات الكلية، كما اقترح جملة من المفاهيم والأدوات الإجرائية الدقيقة لتناول اللغة باعتبارها ملكة كسبية، وقد عرفت نظريته تطورا في تصوّرها للتحليل اللساني، وكذا في مضمونها العام، كما تميزت بارتكازها على أسس علمية مكنتها من تجاوز مظاهر القصور النظري والمنهجي الذي ميز_في نظره_ نظرية اللسانيات الكلية، وأتاحت لها إضفاء طابع الدقة والموضوعية.

انتقد الأوراغي نظرية تشومسكي(N.chomsky) التي أسسها من دراسة اللغة الانجليزية، وخاصة مبدأ الكلية، وذلك لوجود نمطين مختلفين من اللغات هما نمط اللغات التركيبية

(الشجرية) ونمط اللغات التوليفية (الاشتقاقية)، ورغم إقرار تشومسكي بتغاير الأنماط اللغوية، ووجود لغات شجرية كالانجليزية والفرنسية ...ولغات غير شجرية كالعربية واليابانية وغيرهما، فإنّه يصف نحوه بالكلية؛ أي أنّه يصلح لدراسة كلّ اللغات، ويصرّح باستحالة تطبيق قواعد اللغات الثانية (غير الشجرية) على اللغات الشجرية، بمعنى أنّ القاعدة اللغوية عند تشومسكي مؤثرة في اتجاه واحد وهذا ما فنّده الأوراغي، الذي يرى أنّ تغاير الأنماط اللغوية يعني استحالة تطبيق قواعد أحد النمطين على الآخر، كما بيّن أنّ ما يصح في اللغة العربية (ذات النمط التوليفي) قد يصح في اللغات الأخرى من النمط نفسه، وما يصح في الانجليزية (ذات النمط الشجري) قد يصح في اللغات التي تشترك معها في النمط الشجري وهذا هو الأساس الذي اعتمدته نظرية اللسانيات النسبية[1]

بالإضافة إلى ذلك أقرّ الأوراغي بوجود مبرر معقول لاستحداث نظرية لسانية جديدة، حيث برّر هذا العمل بالأزمة التي يعيشها الفكر اللغوي عموما والفكر العربي خاصة بعد احتكاكه بتأملات الغربيين في لغاتهم، مثبتا أن ما بأيدي الباحثين من نظريات لسانية، ونماذج نحوية، قاصر عن حل الكثير من مشكلات اللغات البشرية، وقد صرّح بأهم الخصائص المميّزة للنظرية المقترحة فيما يلي:[2]

-أن توفّر النظرية المقترحة القدرة على حل أزمة فكرية متجذرة في حقل الدراسات اللغوية، وأن يكون الحل موافقا لأصول الحضارة الإسلامية، حيث ينتفي التعارض بين فرضية العمل التي تؤسس نظرية اللسانيات النسبية، وبين أصول العقيدة الإسلامية.

-أن يشكّل وجود النظرية المستحدثة نظرة جديدة إلى اللغة، إذا طوّرت هذه النظرية معرفتنا باللغات البشريّة، ويفترض عندئذ أن تُحدث ثورة علميّة في حقل الدراسات اللغويّة، إذا حصرت الأنماط اللغويّة ووفرت ما يلزم من النماذج النحويّة.

-أن يمثل أساسها " أنموذجا استبداليا" إذ قامت اللسانيات النسبية على أصول مغايرة للأصول المقومة للسانيات الكلية، وأن يكون بناؤها الداخلي منطقيا.

يتّضح مما تقدّم أنّ الأوراغي سعى إلى تأسيس نظرية مخالفة لما هو سائد من النظريات الحديثة، مثل النظرية التوليدية التحويلية، وذلك لسد ثغرات الدراسات اللغوية الموجودة (القديمة والحديثة) التي شكلت أزمة فكرية لغوية " فلم يكن وجود اللسانيات النسبية تجاوزا لمثيلتها الكلية فحسب، وإنّما شمل هذا التجاوز نحو سيبويه وما تولد عنه من فكر لغوي على العموم. والتجاوز بمعناه العلومي مشروط بأن تسدّ نظرية اللسانيات النسبية ثغرات نحو سيبويه وغيره من النماذج النحوية الغربية، وان تتضمّن صواب ما في تلك الأنحاء وتصوّب خطأها"[3]. ذلك لأن تأسيس نظرية لسانية ذات مواصفات علمية يقتضي النظر " بفكر ناقد وواع للتراثين اللغويين العربي والغربي. " [4]

وعليه يشترط الأوراغي في نظرية اللسانيات النسبية، أن تستوعب التراث النحوي، وتصوّب ما ورد فيه من هفوات معرفية، وان تبسّط وصف اللغة العربية، وتفسر خصائصها البنوية ضمن نمطها،

وبذلك فإنّ هذه النظرية لا تقصي التراث النحوي العربي، بل تعدّه أساسا تقوم عليه لوصف بنية اللغات التوليفية، وبيان نمطها المختلف عن نمط اللغات التركيبية.

وبذلك فإنّ وجود نظرية اللسانيات النسبية كان قائما على محاورة نظرية اللسانيات الكلية من جهة، ونحو سيبويه الخاص باللغة العربية من جهة أخرى، حيث رأى الأوراغي وجود خلل منهجي في الاستقراء تمثل في ضعف المطابقة بين اللغة الواصفة، واللغة موضوع الوصف فهو لا يشاطر رأي سيبويه بوجود فاعل مستتر في جملة "الذئب عوى"، ولا مانع عنده من اتصاف الأسماء قبل الفعل بوظيفة الفاعل، كما في "الرجل ثار"، و"المرأة صرخت"، وبرأيه لا شيء من جهة اللغة يستلزم ان يوجد في مثل هذا العمل ضمير مستتر أو مركب اسمي غير محقق صوتيا، إنما هي منهجية اتّبعها سيبويه لوصف اللغة، ودراستها دراسة علميّة " فاللغة كون رمزي مطابق لأصله الكون الوجودي أمّا وصفها فكون اصطلاحي قد لا يطابق تماما اللغة الموصوفة بسبب خلل في آلة الوصف."[5]

إنّ الأوراغي بنظرته الجديدة يسعى إلى وضع منهجية علميّة بشروط معاصرة، وهذا باستثمار الدراسات اللغوية القديمة والحديثة لسدّ الثغرات الموجودة في اللسانيات الكلية، واللسانيات الخاصة المتمثلة في التراث النحوي، من أجل حل الأزمة اللغوية الفكرية العربيّة التي اشتدت بعد تأثر الدراسات اللغوية العربيّة باللسانيات الغربية. ومن بين الميادين التطبيقية التي يرى فيها محمد الاوراغي واسطة لنقل نظريته الى الجانب الإجرائي نذكر ميدان تعليم اللغة العربية فضلا عن وجود ميادين أخرى كميدان حوسبة اللغات وكذا تحليل الخطاب التي يرى بامكانية تطبيق نظريته فيها.

3-نظرية اللسانيات النسبية وميدان تعليم اللغة العربيّة :

قبل الحديث عن قضية اكتساب اللغة ونظرية اللسانيات النسبية-مراعاة للتسلسل المنطقي القاضي بأسبقية الاكتساب على التعلم- يأتي الحديث بدءا -في عجالة- عن ميدان تعليم اللغة العربية باعتباره احد الميادين التي توسّل بها الاوراغي لنقل نظريته من الإطار النظري إلى الإطار الإجرائي، وعليه يمكن القول أنّ الوقوف على أهميّة وقيمة نظرية اللسانيات النسبية من الناحية النظرية وكذا المنهجية، لا يتّضح إلا بوضع النظرية في إطار الممارسة العلمية والعملية، وحتى تكتسب أيّة نظرية صفة الدقة العلمية والمنهجية يتعيّن عليها تحديد الإطار النظري وكذا المنهجي لتحليل اللغة ودراستها، واعتماد مفاهيم وأدوات إجرائية مناسبة لذلك الإطار.

وبعد أن عرف حقل تعليم اللغة العربية بدوره اهتماما كبيرا من قبل الباحثين والدارسين، تعدّدت النظريات التي تناولت طرائق التعليم، واختلفت وجهات النظر ممّا دفع المختصّين إلى بذل المزيد من الجهد العلمي لتطوير العملية التعليمية، وتحسين المردود التعليمي. فكان " الاشتغال باللسانيات يولّد حصيلة من المعرفة اللغوية، وهذه الحصيلة تتّخذ آلة منهجية في الكثير من الحقول المعرفيّة " [6]

وإنّ توظيف تلك الحصيلة من المعارف اللغوية التي تمّ اقتناصها بالاعتماد على النظرية اللسانية المستحدثة من شأنه أن يسهم في نجاح عملية تعليم اللغة، التي تتوقّف بدورها على مدى

تمكّن المدرس من الخلفيات اللسانية للمادة اللغوية المراد تدريسها، و اللغة العربية كغيرها من اللغات الهدف من تعليمها اكساب المتعلم المهارات اللغوية المختلفة من خلال الارتكاز على المخلفات العلمية للنظريات التي تساعد على تقديم التفسير العلمي للعراقيل التي تعيق عمليه اكتساب اللغة وتعلّمها.

وعليه استقطبت مسألة تعليم اللغة العربية اهتمام الكثير من الباحثين وكذا العلماء على غرار علماء النفس والتربية وعلماء اللغة، الأمر الذي استدعى الاستفادة من حقول معرفية مختلفة كاللسانيات، فظهرت العديد من النظريات التي اهتمت بخصوصيات المتعلم وميولاته والطرائق المعتمدة في إيصال المعارف له، دون إغفال العوائق والصعوبات المعرقلة للسير الحسن للعملية التواصلية بين المعلم والمتعلم، وكذا عملية اكتساب اللغة بمختلف مستوياتها.

ونظرية اللسانيات النسبية كغيرها من النظريات التي اهتمت بالتفسير العلمي للمشكلات التي تعيق عملية اكتساب اللغة لدى المتعلمين من خلال منظورها الخاص للغة، وبذلك وجب التركيز على ما خلفته من تركة علمية من أجل تأهيل المتعلم لاكتساب مختلف المهارات اللغوية، وعلى مدرس اللغة ألا يغض بصره عمّا توصلت إليه مثل هذه النظريات اللسانية من انجازات على الصعيدين النظري والتطبيقي، بل ينبغي له أن يهضم مرجعياتها ومفاهيمها وتطبيقاتها حتى يتمكن من استثمارها في ميدانه بدقّة.

3-نظرية اللسانيات النسبية واكتساب اللغة:

إنّ البحث في قضية اكتساب اللغة يطرح العديد من التساؤلات حول العدّة المعرفية التي تزوّد بها الإنسان ومكّنته من اكتساب اللغة، وكذا طرائق الاكتساب، وطبيعة اللغة موضوع الاكتساب. "وإذا صحّ انقسام العدّة المعرفية إلى:1)ملكات ذهنية لاقتناص خصائص الموضوعات الجزئية و2)ملكات عقلية لتجريد الكليات واستنباط العلم بالمجهولات يلزم أن تتفرّع طريقة الاكتساب الموصوفة من لدن المهتمين إلى 1)فرع مراسي أو تجريبي ينشط فيه قسم الملكات الذهنية من العدّة المعرفية، وإلى2)فرع استنباطي ينشط فيه قسم الملكات العقلية وهي تجرّد الكليات؛ أي الخصائص المشتركة بين عدد غير متناه من الموضوعات الجزئية، أو تستنبط العلم بالمجهولات التي لم تقتنصها مراسيا الملكات"[7]

فبالاعتماد على الحواس يتم اقتناص المعارف الجزئيّة عن طريق الاستقراء، وبالاعتماد على الملكات العقلية تستنبط المعارف الكليّة المجرّدة عن طريق الاستنباط، وهذا ما ينتج مسلكين لاكتساب اللغة: مسلك مراسي تجريبي وآخر استنباطي. والعدّة المعرفيّة تدلّ على " ما في الدماغ البشري من أجهزة مهيّأة خلقة لتحصيل المعارف واستنباط العلوم "[8]

اهتمّ بالكشف عن طبيعة هذه العدّة فريقان هما: الطبعيون والكسبيون. يرى اصحاب الفريق الاول (الطبعيون) ان العقل هو مصدر ومنبع المعرفة؛ اي فيه" مبادئ سابقة على التجربة، بواسطتها يستطيع اكتساب المعرفة عن العالم الخارجي"[9]. امّا اصحاب الفريق الثاني (الكسبيون)

فهم " ينطلقون من مبدأ اساسي، وهو انّ جميع انواع المعارف التي لدينا مستقاة من الحس والتجربة، اي انه ليس ثمّة في العقل إلا ما تمدّه به المعطيات الحسّية."[10]

ولمّا كان همّ أصحاب المذهب الطبعي أمثال تشومسكي الكشف عن طبيعة الدماغ البشري، وآليات عمله لتحصيل المعارف، فإنّ موضوع العدّة المعرفية كان محطّ اهتمام نظرية اللسانيات الكلّية التي أسسها تشومسكي الذي " سعى إلى بناء نموذج لغوي هدفه المباشر الكشف عن التركيب البنيوي للعقل البشري"[11]و لأنّ الظاهرة اللغوية عنده مرتبطة بما يقوم به الدماغ البشري من أنشطة. فقد كان هدف تشومسكي " تأسيس لسانيات عقلانية تربط النشاط اللغوي بالذهن وتنسبه إليه."[12]

وهو ما جعل نظريته " تنطلق من فرضية اعتباطيّة فيضطرّها مبدأ الانسجام إلى تبنيّ منهجية الفرنب، واعتبار اللغة موضوعا متشكّلا، وتوسيل دراسة اللغة لإدراك هدف خارج عنها حدّده تشومسكي في الكشف عن بنية الدماغ البشري."[13]

انطلق الطبعيون من " فرضية عمل تفيد أنّ الخلايا العصبية للأعضاء الذهنية عبارة عن علوم أولية مبرمجة في بنيتها، وأنّ العضو الذهني مزوّد بهذه العلوم الغريزية المطبوعة في خلاياه خلقة، ومن ثمّة فهي لا تلقّن، ولا تكتسب، وإنّما تنتقل من السلف إلى الخلف بمورثات بيولوجية انتقال سائر السجايا الوراثيّة، كلون البشرة والعينين ونعومة الشعر وجعادته وهلمّ جرّا."[14]

فطبيعة العدّة المعرفية عند تشومسكي عبارة عن مفاهيم موجودة مسبقا في خلايا الذهن ومتوارثة؛ لأجل ذلك يترتّب عن فرضيته أنّ " اللغة عبارة عن نسق من المبادئ المرقونة خلقة في خلايا ذهنية. "[15]وهو بذلك يقرّ بفطرية اللغة ويعتبرها قضية لافتة للنظر وفي هذا يقول "القول بأن اللغة ليست فطرية كالقول بأنه لا فرق بين حفيدتي وصخرة وأرنب. بعبارة أخرى لو أخذت صخرة وأرنبا وحفيدتي ووضعتهنّ في مجتمع يتحدّث أناسه اللغة الانكليزية؛ فسيتعلّم كل منهن اللغة الانكليزية. لو اعتقد الناس بهذا؛ فسيعتقدون بأن اللغة ليست فطرية. ولو اعتقدوا بأنّ هناك فرقا بين حفيدتي والأرنب والصخرة؛ فسيعتقدون بأنّ اللغة فطرية."[16]فخلايا الذهن في نظر تشومسكي منسوج ومطبوع فيها علوم أوّلية غريزية عن طريقها يحدث الاكتساب.

واللغة على حدّ تعبير تشومسكي " عبارة عن مجموعة 'محدودة أو غير محدودة' من الجمل كل جملة فيها محدودة في طولها، قد أنشئت من مجموعة محدودة من العناصر."[17]ونتيجة هذا التصوّر تبنّى الطبعيون طريقة تنشيطيّة في التعليم، وبذلك اقتصر دور المدرّس "على دفع التلاميذ وحثّهم لإثارة ما في أذهانهم من المعارف الطبعية المنتقلة إليهم من السلف عبر أمشاج الأبوين، وبذلك يتأتّى لهم أن يستنبطوا جميع المعلومات المتعلّقة بموضوع الدرس"[18]

وفي إطار هذه الطريقة التنشيطيّة يكون المتعلّم معلّم نفسه، وما على المعلّم سوى توجيهه وتنشيط ما في ذهنه من معارف مطبوعة، بالاعتماد على أسلوب الحوار" فانتقال الطفل من طور العجز عن استعمال اللغة إلى طور القدرة على التواصل بها لا يحتاج إلى أكثر من أمرين: أولا نمو العضو الذهني الحامل في نسيج خلاياه لمبادئ النحو الكلي؛ وهو العضو المعروف عندهم بالملكة

اللغوية. وثانيا اتصال الطفل بالمحيط اللغوي من أجل تنشيط تلك المبادئ وتشغيلها فيبني الفرد في نفسه نسقا من القواعد النحوية المستعملة في وسطه اللغوي."[19]

ولنجاح هذه الطريقة على المعلّم أن يتقن صياغة الإشكال في الدرس، ويحسن توظيف السؤال الدقيق الذي يوجّه المتعلم إلى الوجهة المستهدفة للوصول إلى النتيجة المنتظرة، كما ينبغي له أن يحسّس كلّ متعلّم بالمسؤولية في إيجاد المعلومة الخاصّة ببناء الدرس.[20]

ونظرا لما في هذه الطريقة من مزايا إذ إنها ترتكز على مفهوم التعلم الذاتي، وكونها أفضل من الطريقة التلقينيّة القائمة على الإلقاء إلاّ أنها " دون الطريقة الكسبيّة التي تجمع بين التعليم الذي يحتاج فيه الطالب إلى المدرّس وبين التعلّم الذاتي بحيث ينقلب التلميذ معلّم نفسه."[21]

وعليه فإنّ عدد الطرائق التعليميّة ثلاث:

" 1-الطريقة التنشيطية التي تستند إلى الفرضية الطبعية، وتقوم على مبدأ التعلّم الذاتي، فيكون المربي منشطا لخزّان المعارف الكامنة في ذهن المتعلم.

2-الطريقة التلقينية لا تستند إلى فرضية عمل مما يؤسس نظرية كسبية، قاعدتها الإلقاء بحيث يتحول المربي إلى مصدر للمعرفة والطالب إلى متقبّل وحفّاظ لها.

3-الطريقة التعليمية سندها الفرضية الكسبية، ومنهجها ذو شقين، أولهما عبارة عن قواعد استقرائية، وقواعد الشق الثاني استنباطية. "[22]

ويرى محمد الأوراغي أنّ طريقة التدريس مرتبطة بالمنهاج الدراسي، وعلى المدرّس أن يكون مهيّأ بما يلزمه من كفاءات معرفية وخبرات تربوية لتنفيذ كلّ جزئيات المنهاج مع التقيّد بالفرضية الكسبية المؤسسة لنظرية اللسانيات النسبية والقائلة بأنّ اللغة ملكة مصنوعة كسبية ، ذات طبيعة وضعية تنتقل من السلف إلى الخلف بالتعلّم [23]

وعليه فأساس نظرية الأوراغي " فرضية عمل كسبية مفادها أنّ اللغات البشرية من نوع الملكات الوضعية بالاختيار والمكتسبة بالتلقين، وليست من نوع الملكات الطبيعية المنسوجة خلقة في خلايا الجهاز العصبي والمنقولة من السلف إلى الخلف بمورثات."[24]

وتبعا للفرضية الكسبية المؤسسة لنظرية اللسانيات النسبية فإنّ الانطلاق في اكتساب اللغة يكون بدءا من عدّة الاكتساب التي هي عبارة عن " قوى ذهنية، بنية خلاياها خالية من العلوم الغريزية الأولية، لكنّها مهيّأة بيولوجيا لأن تتشكّل ببنية ما يحلّ فيها من العالم الخارجي المنتظم على وجه كلّي فتحصل لها القدرة على الاستنباط واكتساب العلوم. "[25]

أي أنّ الفرضية الكسبية للغة تنبي على " تصوّر خلايا الجهاز العصبي في الدماغ البشري ذات تركيب بنيوي، تهيّأ به لأن تتشكّل بما يحلّ فيها من خصائص الموضوعات في الكون الخارجي، فتصبح عارفة بما استقرّ في ذاتها، وقادرة على أن تستنبط منها علوما مكتسبة."[26]

وعليه فالعدّة المعرفية وفق التصوّر الكسبي جهاز عصبي قطباه الملكات الذهنية والحواس الخارجية.

ولمّا كانت اللسانيات تعنى بالدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري، من خلال دراسة اللغات المتعلقة بكل قوم باعتبارها أنظمة تواصلية، فإنّ وصف اللغات وصفا علميا في نواحيها المختلفة لتحديد خصائصها وتطبيق النتائج المتوصّل إليها في ميدان تعليم اللغة كفيل بتمكين المتعلم من تحصيل الملكة اللغوية بالاعتماد على القواعد التي سبق أنّ وصفها اللساني " ويكون وصف اللغة علميا إذا توسّل اللساني إلى قواعدها بنموذج نحوي مبني في إطار نظرية لسانية متجاوزة، بالمعنى العلومي للتجاوز، لكلّ النظريات اللسانية والنماذج النحوية السابقة."[27]

وينبغي لهذا النموذج أن يتفرّع إلى قوالب، كما تتفرّع اللغة إلى فصوص أربعة وهي:

الفص النصغي، الفص المعجمي، الفص التحويلي، الفص التركيبي حيث يختصّ كلّ قالب بوصف فصّ معين من أجل تلقين مهارة معينة من مهارات اللغة.

فاكتساب المتعلّم لمهارة السمع والنطق، مرتبط بما انتهى إليه وصف أوّل فصّ من فصوص اللغة وهو الفص النصغي، المكوّن من نطائق اللغة العربية وقواعد التأليف بينها، ممّا يمكّن المتعلّم من التمييز بين الصور الصوتية المتشابهة مثل "سيف وصيف" و كذا الصور الصوتية المتباينة مثل "تلفاز وتمساح"، وبعد اكتساب القدرة على التمييز بين القيم الخلافية للحروف الخاصّة باللغة العربية، يتمكّن المتعلم بعد ذلك من إصدار تلك النطائق من أماكنها المخصّصة لها في الجهاز النطقي ، ممّا يضمن الأداء السليم لها.[28]

وعليه فتعليم النطائق يكون عن طريق المشافهة " وذلك بالجمع بين تعويد الأذن على التقاط القيم الخلافية التي تميّز كلّ نطيقة وبين ترويض أعضاء جهاز النطق على التحرّك في غرف الرنين مشكّلة الأحياز التي تصدر منها النطائق المستهدفة . وعليه يكاد يكون الدرس الهادف إلى تكوين مهارة السمع والنطق أساس الفصاحة درسا في الرياضة البدنيّة."[29]

وتكوين مهارتي السمع والنطق ينبغي أن يصاحبه تدريب المتعلّم على رسم الأشكال الخاصّة بحروف اللغة العربيّة؛ التركيز على الجانب الخطّي لها مع الامتثال لقواعد الخطّ، كالتدرّب على رسم حرف الباء "ب"، مع التدرّب على رسم الحروف المشابهة في الوقت نفسه مثل: التاء "ت" والثاء "ث" والياء"ي" ، وبذلك يتمكّن المتعلّم من تعلّم كيفية تحرير هذه الحروف وبالتالي اكتساب مهارة الكتابة، فتلقين مهارة السمع وكذا النطق مرتبط بتلقين مهارة الكتابة ، إذ لا يمكن للمتعلّم أن يكتب إلاّ ما سمعته أذنه ونطقه لسانه ,[30]

ويفضّل إدراج النطائق المراد تدريسها في المفردات المشكّلة لنصّ الدرس " من خلال ثنائيات من المفردات المتقاربة، وهي مداخل معجميّة مقولاتها واحدة ودلالتها مختلفة وجناسها القولي أو الصوتي ناقص. يتعاقب على نفس الموضع منها إمّا نطائق متجانسة (...) وإمّا نطائق متشابهة. " [31] وبذلك يتعوّد التعلّم على النطق السليم لها ممّا يتيح له القدرة على التمييز بين المتشابه والمتباين منها,

أمّا ثاني فصّ من فصوص اللغة وهو " الفص المعجمي" يتكوّن من " عدد غير متناه من المداخل المعجمية المختزنة في أذهان الناطقين باللغة ، وكلّ مدخل معجمي عبارة عن قولة منطوقة تقترن بكلمة مفهومة اقتران العسل بحلاوته والشمس بضوئها."[32]

وتدريس هذا الفصّ له أهميّة بالغة فهو الذي يكوّن لدى المتعلّم مهارة المثاقفة والمحادثة أو القدرة المعجميّة للتواصل مع الغير؛ أي من أجل " إقدا ر الطالب ثقافيا ولغويا على إجراء المحادثة في مستوى ثقافي مناسب لمستواه الذهني. واستنادا إلى المعادلة التالية 'اللغة = نسق لرمزي + ديوان ثقافي ' فإنّ الديوان الثقافي مستودع في الفصّ المعجمي، بينما النسق الرمزي موزّع على سائر الفصوص الأربعة."[33]وعليه فالهدف من تدريس الفص المعجمي الذي يزوّد حصيلة المتعلم بالمفردات الضرورية هو تنمية وإثراء هذه الحصيلة اللغوية والثقافية لهذا المتعلّم حتى يتمكّن من إجراء المحادثة. كما يجب أن يكون تنويع في المفردات أثناء تدريس هذا الفصّ المعجمي، بحسب الغرض، مع مراعاة سلامتها من حيث المبنى وكذا المعنى، وينبغي كذلك البدء بتدريس المفردات الدالة على الموضوعات الحسّية ثم الانتقال تدريجيا للدالّة على الموضوعات المجرّدة وكلّ ذلك يسهم في تكوين مهارة المثاقفة والمحادثة عند المتعلّم. [34]

ويتكوّن معجم اللغات من نوعين من المداخل:

" أ) مداخل معجمية أصول تكتسب استقراءً واحدًا تلو الآخر إلى الإتيان عليها جميعا في زمان طويل إن تيسّرت الإحاطة,

ب) مداخل معجمية فروع، تتولّد عن المداخل السابقة بواسطة قواعد الفصّ التحويلي، ويكون اكتسابها قياسا عن طريق النسج على المنوال."[35]

أي يكتسب المتعلم بداية المداخل الأصول كما هي في الاستعمال عن طريق الاستقراء، بعدها وبالاعتماد على القواعد الصرفية يشتقّ دلالات وأبنية أخرى انطلاقا من المداخل الأصول وهو ما يسهم في تنمية القدرة الإبداعية لديه فيما يخص الفصّ المعجمي,

ثالث فصّ من فصوص اللغة هو الفصّ التحويلي المكوّن من: " أ) قواعد اشتقاقية ذات طبيعة دلالية تتكفّل بتوليد بعض الكلمات من بعض (...)

ب) قواعد صرفية ذات طبيعة صورية، مهمّتها ضبط مختلف التغيرات التي تطرأ على القولة المتصرّفة، وهي تنتقل من بنية إلى أخرى كقلب الواو ياءً إذا اجتمعا في قولة ، وإدغام الياء في الياء في نحو طيّ ، وعيّ ، ميّت، وسيّد ." [36]

فأهمّ ما يشكّل هذا الفصّ هو الاشتقاق والتصريف، والأوّل (الاشتقاق) خاصّ بالمعاني ومدى قدرة المتعلّم على اشتقاق دلالة من أخرى، أمّا الثاني (التصريف) فيخصّ المباني وطرق الانتقال من صيغة إلى أخرى.

وإذا تعلّم المتعلّم القواعد التي وصفها القالب الخاصّ بهذا الفصّ، تمكّن بعد ذلك من تطوير حصيلته اللغوية، فبتلك القواعد يستطيع استنباط عدد من المداخل المعجمية الفروع من كلّ

مدخل معجمي أصل التي كان قد اكتسبه استقراءً من قبل، وهكذا يزيد نضج مهارة المثاقفة والمحادثة لدى متعلّم اللغة. [37]

وأمّا آخر فصّ من فصوص اللغة وهو الفص التركيبي، المتكوّن من " قواعد لتأليف المداخل المعجميّة وتركيبها بهدف إنشاء جمل تامّة التكوين ومستوفية لشروط التواصل."[38]

والفصّ التركيبي في اللغة العربية يتفرّع إل ثلاثة مكونات هي:

1-مكوّن تأليفي: يضمّ قواعد التأليف الدلاليّة، التي هي عبارة عن علاقات دلالية كلّية لا يمكن لأي جملة أن تتألّف بدونها.

2-مكوّن إعرابي: خاصّ باللغات التي تعتمد على العلامة الإعرابية للتعبير عن الحالات التركيبية كالرفع والنصب. فعلاقة الإسناد تعمل الرفع بين المسند والمسند إليه، كما تعمل علاقة الإفضال النصب بين الفضلة ونواة الجملة.

3-مكوّن ترتيبي: يتكوّن من العلاقات التداولية القائمة بين المتخاطبين والمخلّفة لأثر في الجملة بحسب الغرض الذي يقتضيه ترتيب الجملة.[39]

وتعليم قواعد هذا الفصّ كفيل بإتمام نضج مهارة المثاقفة والمحادثة، فبعد أن يأخذ الفصّ التركيبي المفردات اللازمة من المعجم يقوم بالتأليف بينها بعلاقات من أجل إنشاء جمل تامّة التكوين وقابلة للاستعمال في مواقف تواصليّة متنوّعة؛ وبذلك يتمّ تحقيق الإفادة وهذا ما يساعد على إنجاح عمليّة المحادثة واستمرارها.

خاتمة:

تبيّن لنا من خلال ما تقدّم أنّ محمّد الأوراغي أقام نظرية استشرف من خلالها سدّ نقائص نظرية اللسانيات الكلية؛ بغية الوصول إلى تحقيق الأهداف التي لم تصل إليها النظريات السابقة وعليه حاول تسخير كلّ جهوده لبناء نسق نظري جديد للغة قائم على مبدأ التنميط والإقرار بكسبية اللغة التي هي موضوعة بالاختيار الإرادي، ومكتسبة بقواعد الاستقراء الاستدلالية وكذا قواعد الاستنباط البرهانية، الأمر الذي قاده إلى تقسيم بنية اللغة إلى أربعة فصوص هي الفصّ النصغي، والفصّ المعجمي، والفصّ التحويلي، والفصّ التركيبي، كما جعل لكلّ فصّ قالبا نحويا خاصّا به، ويعمل على تدريس قواعده. وبذلك كان الهدف من تأسيس مشروع نظرية اللسانيات النسبية العلمي لمحمد الاوراغي هو وضع نظرية تستجيب لشروط التنظير والنمذجة العلميين وفق متطلبات العصر الحديث مما يجعلها قابلة للتفعيل في ميادين متنوعة كميدان تعليم اللغة العربية.

الإحالات:

[1] ينظر: الأوراغي محمد، 2001م، الوسائط اللغوية –أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ص. 9-10.

[2] ينظر: الأوراغي محمد، 2010م، نظرية اللسانيات النسبية-دواعي النشأة، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ص. 9-10-11.

[3] الأوراغي محمد ، نظرية اللسانيات النسبية-دواعي النشأة، ص. 21.

[4] غلفان مصطفى، 2013م، اللسانيات العربية-أسئلة المنهج، دار ورد للنشر والتوزيع، ص.51.

[5]الأوراغي محمد ، نظرية اللسانيات النسبية-دواعي النشأة ، ص. 98-99.

[6]علوي حافظ اسماعيلي والعناتي وليد أحمد، 2009م، أسئلة اللسانيات- أسئلة اللغة_حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دار الامان، الرباط، ص.170.

[7]الأوراغي محمد ، 2010م، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ص. 138.

[8]نفسه، ص. 138

[9]الجابري محمد عابد ، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ص.120.

[10]نفسه، ص.121.

[11]الأوراغي محمد، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص 139.

[12]العمري محمد محمد ،2012م، الاسس الابستموبلوجية للنظرية اللسانية-البيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الاردن-عمان، ، ص.180.

[13]الأوراغي محمد، الوسائط اللغوية-افول اللسانيات الكلية ، ص. 27.

[14]الأوراغي محمد ،اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص. 139-140.

[15]الأوراغي محمد، الوسائط اللغوية-افول اللسانيات الكلية، ص.12.

[16]تشومسكي نعوم، تر:الكلثم ابراهيم، 2017م، بنيان اللغة، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت-لبنان، ص.75-76.

[17]تشومسكي نعوم، 1987م، البنى النحوية،تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-العراق، ص.17.

[18]الأوراغي محمد ، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص. 142-143.

[19]الأوراغي محمد ، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص.142.

[20]ينظر: المرجع نفسه، ص. 143.

[21]نفسه، ص. 143.

[22]نفسه، ص.144.

[23]ينظر: الأوراغي محمد، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص. 36.

[24]علوي حافظ اسماعيلي والعناتي وليد احمد ، أسئلة اللغة-أسئلة اللسانيات، ص.185.

[25] الأوراغي محمد، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص.268.

[26]نفسه، ص.144.

[27]الأوراغي محمد ، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص.9.

[28]ينظر: نفسه، ص.10.

[29]نفسه، ص. 71.

[30]ينظر: المرجع السابق، ص.11.

[31]نفسه، ص. 72.

[3232]نفسه، ص.12.

[33]نفسه، ص. 12-13.

[34]ينظر: المرجع السابق، ص. 13.

[35]المرجع نفسه، ص. 14.

[36]نفسه، ص. 14.

[37]المرجع السابق، ص. 15.

[38]نفسه، ص. 156.

[39]ينظر: المرجع نفسه، ص.156-157.

المراجع:

- الأوراغي محمد،2001م، الوسائط اللغوية –أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط.1.
- الأوراغي محمد،2010م، نظرية اللسانيات النسبية-دواعي النشأة، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1.

- الأوراغي محمد،2010م، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1.
- الجابري محمد عابد ، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان، دط.
- العمري محمد محمد ، 2012م، الاسس الابستموبلوجية للنظرية اللسانية-البيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الاردن-عمان، ط1.
- تشومسكي نعوم،تر:الكلثم ابراهيم،2017م، بنيان اللغة، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1.
- تشومسكي نعوم،تر: يوئيل يوسف عزيز،1987م، البنى النحوية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-العراق، ط1.
- علوي حافظ اسماعيلي والعناتي وليد أحمد، 2009م، أسئلة اللسانيات- أسئلة اللغة_حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دار الأمان، الرباط، ط1.
- غلفان مصطفى، 2013م، اللسانيات العربية-أسئلة المنهج، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1.